البارون

محمود سالم

البارون

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

البارون

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٨٢١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الثمن هو الجنون أو الموت!	١١
حرب البارونات!	١٧
«ميدين» ... عاصمة المخدرات ... والموت!	٢١
خطة إلى الجحيم!	٢٧
قصر ... وسط غابات الأمازون!	٣٣
داخل العرين!	٣٧
رجل المفاجآت!	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الثمن هو الجنون أو الموت!

ساد السكونُ لحظاتٍ قليلة في قاعة العرض السينمائي بكهف الشياطين ... كان الجالسون في القاعة أربعة أفراد فقط: «أحمد»، «إلهام»، «عثمان»، «زبيدة» ... أما بقية الشياطين فقد كانوا في مهمة سرية لم يُعلَن عنها.

كان من الواضح أن الشياطين الأربعة في طريقهم إلى عملية جديدة ... بعد قليل أُطفئَت الأنوار في القاعة، ولمعَت شاشة العرض السينمائي، وبدأ عرض الفيلم ...

كان المشهد الأول يركز على بوابة كبيرة لمستشفى ضخم محاطٍ بأسوار غريبة، كما لو كانت تُحيط سجنًا لتمنع نزلاءَه من الفرار ... وأخذت الكاميرا تتجوَّل في أنحاء الحديقة الجرداء المحيطة بمبنى المستشفى الغامض ... القاسي ... وكان المكان خاليًا يُوحي بالرهبة والغموض ... والكاميرا تُسرع في تنقُّلِها من مكان لآخر كأنها تُطارد شبحًا خفيًّا ... وفجأةً تعالَت صرخةٌ من إحدى النوافذ المسورة بقضبان حديدية من الطابق الثاني بمبنى المستشفى، وبسرعة قفزَت عينُ الكاميرات لأعلى كاشفةً عما يدور بداخل الحجرة التي تُشبه الزنزانة.

كان بالداخل رجلٌ ممرض وحيد في الغرفة قد أمسك بشابٍّ في حوالي العشرين من عمره، رُبطَت يداه وقدماه إلى قيود بالفراش، على حين راح الشابُّ يصرخ صرخاتٍ مفزعة كأنه أُصيب بالجنون، وقد جحظَت عيناه بشدة كأنهما ستخرجان من مكانهما ... وانسال العرقُ غزيرًا على جبهته وهو يرتعد بطريقة مفزعة ... وتوالَت صرخاتُه تشقُّ سكونَ المكان وصمْتَه.

وأطلَّت الكاميرا من نافذة حجرة أخرى لتُشاهد فتاة لا يزيد عمرها عن سبعة عشر عامًا وقد جلسَت متقوقعة في ركن حجرتها كأنها طفل صغير مفزوع ... وكانت الفتاة تنتفض بشدة وبطريقة هيستيرية، وأخذَت تهرش بجنون ... وانسال العرق غزيرًا من

وجهها، وأخذَت تنتزع شعرها بقسوة وجنون ... بسرعة ابتعدَت الكاميرا كأنما أصابها المشهدُ بخوف مفاجئ ... وقفزَت فوق سور عريض تعلوه أسلاك شائكة ... ثم أسرعَت تُطلُّ من بين فتحاته.

وبأسفل كان هناك عددٌ من الجالسين داخل المكان المسور ... كانت بعض المقاعد، ولكن نزلاء المكان كانوا قد جلسوا على الأرض وتمدَّدوا فوق التراب ... كان متوسطُ أعمار نزلاء المكان لا تزيد عن العشرين عامًا ... بعضهم من الشبَّان والبعض الآخر من الفتيات، ويفصل بين الفريقَين سورٌ عريض. واقترَبت الكاميرا من أحد الذين افترشوا الأرض ... كانت ملابسُه رثَّة قذرة وقد رقد ساهمًا بعينَين ملآوَين بالفراغ يحدِّق في لا شيء ... وفجأةً قفز من مكانه وراح يصرخ ويُشيح بيده زاعقًا في الهواء كأنه يتصارع مع أشخاص لا وجودَ لهم ... ومن ركنٍ مقابل جاوبَه شابٌّ آخر بأصوات وغمغمات لا معنًى لها قبل أن يقفزَ فوق يدَيه وقدمَيه ويزحف فوق التراب مقلِّدًا نُباحَ الكلب ...

ومن وراء سور الفتيات كان المشهد مماثلًا تقريبًا ...

امتلأَت عينَا «إلهام» بدموع لم تستطع كَبْتَها ... وانسالَت دمعتان ساخنتان فوق وجنتَيها ... كان من المؤكَّد لها أنها تشاهد مصحة للأمراض العقلية، وأن نزلاءَها من الشبَّان والشابَّات صغار السن.

رمق «أحمد» «إلهام» بإشفاق ... لم يكن قد سَمِع صوتَ نحيبها المكتوم، ولكنه أحسَّ بمشاعر حارة دافقة ... وتساءل «أحمد» في صمت ودهشة عن معنى ذلك الفيلم الذي يعرضه عليهم رقم «صفر» ... وما علاقته بأعمالهم ...

وأغمضَت «إلهام» عينَيها حتى لا تشاهدَ المزيد من المشاهد المريرة ... وأفاقَت على كلمات رقم «صفر» وهي تُزيح الصمتَ المؤلم قائلةً: ما تشاهدونه الآن هو مصحة لنزلاء الأمراض العقلية للشبان والفتيات ... ولا بد أنكم استنتجتم ذلك ... أما ما أُحبُّ أن أضيفَه فهو أن نُزلاء هذه المصحة هم ضحايا لإدمان المخدرات.

ضاقَت عينَا «عثمان» بشدة ... كان هذا هو ما استنتجه منذ لحظات ... وغمغمَت «زبيدة» قائلةً: يا لهم من بؤساء ... يا لَهم من مساكين!

توقَّف العرض ... وأُضيئَت القاعة ... وظهر رقم «صفر» في مكانه المعتاد وقد أخفَت العتمةُ تفاصيلَ ملامحه ... وساد السكون القاعة ثوانٍ قليلة كأنما يتعمَّد رقم «صفر» أن يعطيَ للشياطين الأربعة فرصةً لالتقاط أنفاسهم ومشاعرهم.

وأخيرًا قال في صوت مليء بالألم: لا شك أنكم قرأتم وسمعتم كثيرًا عن شبكات كبيرة لتهريب المخدرات إلى وطننا العربي ... وعن آلافٍ من المدمنين وضحايا استعمال هذه المواد المخدرة حيث يُصبحون أسرى لها ... ويكون مصيرُهم في النهاية كما رأيتم ... إما الجنون ... أو الموت.

إلهام: هذا شيء بشع جدًّا!

رقم «صفر»: معكِ حقٌّ يا «إلهام» ... إن جلبَ المخدرات إلى عالَمِنا العربي بتلك الكثافة والضراوة ليس أمرًا وليدَ الصدفة، وهو ما سنناقشه بعد قليل ... أنتم تعرفون أن هناك أنواعًا من المخدرات التقليدية التي عرفها الإنسان منذ آلاف السنين، مثل الأفيون والحشيش، تنتشر زراعتُها أساسًا في «الهند» و«لبنان» وغيرها من الدول ... وهذه المواد المخدِّرة برغم تأثيرها الضار على وظائف جسم الإنسان ... إلا أنها في النهاية تُسبِّب الإدمان أو الجنون، وتدفع بصاحبها إلى الكسل والخمول، وفقدان الصحة والشهية ... وجاء العلمُ الحديث ليشتقَّ أهمَّ مخدر طبي وهو المورفين من الأفيون ... ولقد قدَّم المورفين أجلَّ الخدمات للمرضى وأصحاب الآلام للتخفيف عنهم ... وأمكن بفضله من إجراء العمليات الجراحية الخطرة ... فنحن نُدين للمورفين بكثير جدًّا من تقدُّمنا الطبي ... ولولا المورفين لكان كثيرٌ من المرضى قد ماتوا منذ زمن طويل ... إما بسبب آلامهم غير المحتملة ... أو بسبب استحالة إجراء العمليات الجراحية العاجلة لهم وهم في وَعْيِهم الكامل.

وصمتَ رقم «صفر» لحظة ثم أضاف: وكما أن العلم يُفيد البشرية ... فإن سوءَ استخدامه وموتَ ضمير بعض العلماء قد يتسبَّب في أن يكون العلمُ مصدرًا للشرور والخراب ... وهذا هو ما حدث في مجال تخليق المخدرات ... وهو الأمر الذي حدث مع مخدِّر المورفين؛ حيث جرَى استخلاصُ مخدر أقوى منه عشر مرات هو مخدر الهيروين ... وهذا المخدر القاتل يُسبِّب الإدمان لمن يتعاطاه في المرة الثانية، فهو أسرعُ مخدِّر يُسبِّب الإدمان ... ومجرد تعاطيه من المرة الأولى أو محاولة تجربته ... هو حكمٌ بالإعدام على مَن يُقْدِم على هذه التجربة القاتلة ... فالهيروين يتسبَّب في تسمُّم الدم لمن يتعاطاه، والتهاب الكبد، والكسل والإهمال، وفقدان القوة الجنسية، ويُفقد الإنسانَ إحساسَه بأطرافه، وانخفاض في ضربات القلب، وتدمير خلايا الأنف، وإلى حالة هزال شديد ... وفي النهاية يتسبَّب على المدى الطويل أو بسبب جرعة زائدة في إصابة متعاطيه بالجنون كما شاهدتم، أو بالموت المفاجئ.

وتساءل «عثمان»: أليس هناك أيُّ علاج لمدمني الهيروين؟

رقم «صفر»: إذا كان المدمن في البداية فيمكن علاجه ... أما إذا وصل إلى مرحلة تدمير خلايا مخِّه أو الجنون ... فلا علاج له حتى الموت.

إلهام: هذا شيء بشع!

رقم «صفر»: معكِ حقٌّ يا «إلهام» ... ومن المؤسف أن أغلب ضحايا الهيروين هم من الشباب صغار السن الذين يُقبِلون على تعاطي الهيروين بدافع الفضول أو التجربة، أو لإشباع رجولتهم، فلا يُدركون أنهم قد دقُّوا أولَ مسمار في نعشهم ... إلا بعد فوات الأوان ...

وساد صمت لحظات بعد كلمات رقم «صفر» وتشبيهه القاسي ... وقال رقم «صفر»: أما المخدر الآخر الذي لا يقلُّ عن الهيروين تأثيرًا وتدميرًا فهو الكوكايين ... وهو يأتي من أوراق نبات الكوكا التي تُزرَع في أمريكا الجنوبية ... حيث يتم قطفُ أوراقه وتحويلها إلى عجينة بيضاء، ثم إلى مسحوق أبيض يتم تعاطيه بالحقن أو بالاستنشاق ... وقديمًا كان هنود أمريكا الجنوبية يستعملون أوراق نبات الكوكا لتخفيف آلامهم وشعورهم بالتعب عن طريق مضغ هذه الأوراق ... ثم جاء بعضُ ضعاف النفوس ليحولوا هذه الأوراق إلى بودرة الكوكايين العالية التركيز كأنها سمٌّ رهيب، تُدمِّر كلَّ مَن يتعاطاها ... وبالإضافة إلى الأمراض والأغراض التي تُسبِّبها المخدرات «الهيروين والكوكايين» لمن يتعاطاها، فإن الكوكايين أشدُّ تأثيرًا وتدميرًا ... فهو أيضًا يسبب اختلالَ مراكز السمع والإبصار للإنسان، ويسبِّب شللَ أطرافه ... فيتخيَّل المدمنُ أنه يسمع أصواتًا لا وجودَ لها، فيتوهم سماعَ أصوات لأشخاص وهميِّين يسبُّونه. أو ربما يتخيل أن جهاز التليفون أمامه كلبٌ يعوي يوشك على عقره ... بل أحيانًا يحلم وهو مستيقظ ... بل ويشعر بتنميل شديد في جسمه، ويتخيَّل وجودَ حشرات تحت جلده، بل وداخل أنفه وأُذُنَيه؛ فيروح يحكُّ جسمَه بشدة إلى أن ينزفَ بحثًا عن تلك الحشرات الوهمية التي لا وجودَ لها ... بل ويشعر بقرصاتها ولدغاتها ... وهكذا تتحول حياته إلى جحيم قبل أن تنتهيَ بالجنون ... وما شاهدتموهم في الفيلم الذي عُرِضَ عليكم منذ قليل هم من ضحايا إدمان الهيروين والكوكايين ... الذين انتهى بهم الأمر إلى مستشفى الأمراض العقلية ... وهناك غيرهم من الذين انتهى الأمر بهم إلى الموت ... وفي إحصائية أخيرة أصدرَتها وزارة الداخلية الإيطالية ثبت فيها أن عدد ضحايا المخدرات الذين يموتون بالسكتة القلبية والمخية المفاجئة بسبب الإدمان ... هم أكثر عددًا من ضحايا حوادث الطرق التي تقع في هذه البلاد ... وهناك أيضًا حبوب الهلوسة التي تجعل الإنسان في حالة من اللاوعي، والتي يتخيل فيها نفسَه سوبرمان مثلًا فيُلقي بنفسه من النافذة إلى الشارع ... أو يتصور أن القطار القادم نحوه هو كلب أليف فيقف فاتحًا ذراعَيه لاستقباله ...

أحمد: يجب إصدار تشريعات وقوانين قاسية ضدَّ كلِّ مَن يبيع هذه المخدرات والسموم وخاصة للشباب.

رقم «صفر»: هذا هو ما حدث في كثير من بلدان العالم وآخرها مصر ... فقد صارت عقوبةُ بيعِ المخدرات شديدةً وقاسية ... بل ووصلَت عقوبةُ تهريبها داخل البلاد إلى الإعدام، ولكن لأن أرباحَ هذه التجارة المحرَّمة خرافيةٌ، وتصل إلى الملايين؛ فإن هناك دائمًا مَن هم على استعداد للمجازفة ... ولو بحياتهم ... وبسبب سهولة تهريب الهيروين والكوكايين، وإخفائهما في أيِّ شيء، كان من المستحيل ضبطُ كلِّ المهرِّبين، خاصة وعالَمنا العربي يتمتع بحدود مفتوحة على البحر ... ومن هنا تتسرَّب المخدرات إلى داخل البلاد برغم كلِّ محاولات ضَبْطها ... وسياسة المهربين إرسال شحنات كبيرة لتهريبها داخل البلاد من أماكن متعددة ... حتى إذا ضُبطَت إحداها نجحَت بقيةُ الشحنات في دخول البلاد ... وبسبب الأرباح الكبيرة لهذه التجارة القاتلة فإن المهربين باتوا يستخدمون الطائرات والسفن والأساليب الحديثة في إخفاء وتهريب المخدرات ... ومن هنا كانت صعوبة مهمة القائمين على ضبطهم ... وحسب الإحصائيات العالمية فإن مقدار ما يُضبَط من المخدرات لا يزيد على جزء من عشرة من تجارة المخدرات الحقيقية ...

عثمان: إذن فليس هناك غير طريق واحد لإيقاف هذه التجارة المحرَّمة ومنع وصول المخدرات إلى بلادنا ... عن طريق تدمير مزارع هذه المخدرات، وتدمير أماكن تصنيعها وتخليقها ... وقطع أذناب الرءوس الكبيرة التي تعمل في تهريبها.

وعلى الفور أجاب رقم «صفر»: هذه هي مهمتكم القادمة ... بالضبط ... فسوف تذهبون إلى التنين في عقر داره ... للقضاء عليه.

وساد بعد عبارة رقم «صفر» صمتٌ رهيب ...

حرب البارونات!

قال رقم «صفر»: إن مهمتكم القادمة سوف تكون في «كولومبيا» بأمريكا الجنوبية ... وبالتحديد في مدينة «ميدين» معقل تجارة الكوكايين في العالم ... إن «كولومبيا» ليست الأولى في زراعة نبات الكوكايين، بل إن «بيرو» تُنتج خمسة أضعافها، وكذلك «الأكوادور» ... ولكن «كولومبيا» أخذَت شهرتَها وسطوتها من كون أن تخليق الكوكايين يتم في معاملها، حيث يتحول ورق الكوكا إلى كوكايين في معامل مدينة «ميدين» ... والتي يمكن أن نُطلق عليها مدينة المخدرات الأولى في العالم ... إن ٩٠٪ من الكوكايين المهرَّب إلى أمريكا الشمالية يخرج من سواحل ومطارات «ميدين» ... وكذلك كلُّ الكوكايين المصدَّر إلى عالمنا العربي يأخذ نفس الطريق ...

وصمت لحظة ثم أضاف: ولا شك أنكم تعلمون بالحرب الدائرة بين تجار المخدرات في «ميدين» والذين يُطلق عليهم لقب البارونات ضد الحكومة ... فهذه الحرب التي بدأت عام ١٩٨٢ تسبَّبَت في موت تسعة آلاف شخص ... أي بمعدل خمسة أشخاص كل يوم، من ضمنهم رجال الشرطة والصحفيون وحتى رجال القضاء ... لقد بدأت هناك معركةٌ شرسة ولا زالت مستمرة ... وإن كان ليس من المؤكد فيها انتصار الحكومة، وذلك بسبب أن عصابات الهيروين التي تملك أموالًا خرافية قامت بشراء الطائرات والأسلحة التي تمكِّنها من الدفاع عن نفسها ... بل إنهم قاموا بإنشاء ما يسمَّى بـ «غرف الموت» ... وهي فِرَقٌ مهمَّتُها اغتيالُ وقتْل أيِّ قاضٍ يحكم على أحد رجال المخدرات ... أو أي رجل شرطة يقوم بالقبض على أيٍّ من تجار المخدرات، بل ووصلَت سطوتُهم في العام الماضي إلى حدِّ قتْلِ أحدِ المرشحين لانتخابات الرئاسة أثناء حملته الانتخابية بسبب وعودِه للقضاء على تجار المخدرات ومزارعها ... ولا يمرُّ يومٌ الآن بدون أن تحدثَ عدةُ انفجارات في المنشآت الرسمية

بواسطة القنابل التي يزرعها عملاء البارونات في الأماكن العامة وغيرها لإحداث حالة من الذعر والتوتر في البلاد لإيقاف الحرب ضد زراعة وتجارة الكوكايين ...

أحمد: لقد قرأتُ أن القوات الحكومية قد هاجمَت قصورَ هؤلاء البارونات ومعاقلهم، ودمَّرَت مصانعَهم.

رقم «صفر»: هذا صحيح ... ولكنها لم تتمكن من القبض على الرءوس الكبيرة، ومن ثَم استطاع البارونات الهربَ في اللحظة الأخيرة من «ميدين» والالتجاء إلى التلال المحيطة بها للإشراف على تجارتهم. وفي الواقع فإن هناك ثلاثة بارونات كبار يُهيمنون على تجارة الكوكايين وتصديره، وما يهمُّنا منهم هو «بابلوجوانزالو» البارون الملقَّب بالأب الروحي، إنه أخطر رجل في «ميدين» وهو المسئول عن تصدير الكوكايين للشرق الأوسط ... وبالذات لمنطقتنا العربية.

وظهرَت على الشاشة صورةٌ للبارون «بابلوجوانزالو» ... وكانت تمثِّل وجهًا لرجل لا يتعدَّى الأربعين من عمره ... له شاربٌ كثٌّ، وعينان ضيقتان، وملامح قاسية ... وهناك ندبة صغيرة في جبهته ... واختفت صورة البارون ... وحلَّ محلَّها حراسٌ مدجَّجون بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ... وظهر عددٌ من الطائرات الهليكوبتر المسلَّحة في خلفية القصر ...

وقال رقم «صفر»: هذا هو القصر الذي كان يعيش فيه «بابلو» في «ميدين» قبل أن تستوليَ عليه الحكومة ... ويقال إن البارون قد لجأ إلى الجبال، حيث يعيش في قصرٍ مماثل كان قد بناه للطوارئ ... والقصر الذي استولَت عليه الحكومة مليءٌ بالتُّحَف الثمينة التي لا يقلُّ ثمنُها عن عشرة ملايين جنيه ... ولهذا البارون قصةٌ عجيبة في وصوله إلى مكانته الكبيرة في عالَم تهريب الكوكايين؛ فقد بدأ حياتَه ماسحًا للأحذية في العاصمة الكولومبية «بوجوتا»، ثم احترف سرقة السيارات ... وقُبِضَ عليه، وبعد الإفراج عنه سافر إلى «ميدين» وعَمِل حارسًا في مزارع المخدرات، ثم عَمِل في تهريب بعضها إلى أمريكا، واشتهر بجرأته الشديدة وقدرته على الهرب من الكمائن التي تُوضع للقبض عليه ... ولمع اسمُه وزادَت أرباحه حتى اشترى المزارع الواسعة، وأقام مصانع تخليق الكوكايين من نبات الكوكا، وزادت تجارته وتوسَّعَت حتى صار من أكبر بارونات «ميدين» في تهريب المخدرات خاصة لدول الشرق الأوسط.

إلهام: ألم تجرِ أيُّ محاولات للقبض على هذا الرجل؟

رقم «صفر»: بالفعل جرَت عدةُ محاولات ... لقد ذهب أكثرُ من عشرين من أفضل رجال المباحث والمخابرات للقبض عليه بخطط مبتكرة ... ولكنهم جميعًا انكشف أمرهم

وماتوا صرعَى برصاص حرَّاسه. وذات مرة كان «بابلو» في زيارة لإحدى الدول الأوروبية عندما قُبِضَ عليه وأودع بالسجن تحت حراسة مشددة لحين ترحيله ومحاكمته. ولكن بعض رجاله تمكَّنوا من اختطافه من السجن بحبل ألقَوه إليه من طائرة عمودية هربوا بها معه ... إنه رجل أشبه بالأسطورة ... وهو من الذكاء بحيث إنه يضمن ولاءَ الأهالي الذين يعيشون في منطقة نفوذه، فهو يبني لهم المساكن ويوزِّعها عليهم بالمجان، وكذلك الملابس والطعام؛ حتى يضمن ولاءَهم له، ووقوفَهم بجواره دائمًا ... إن هناك أكثر من نصف مليون شخص مستعدون لحماية هذا الرجل الخطير بأرواحهم ... بالإضافة إلى عشرة آلاف رجل مسلحين.

أحمد: إن هذا الرجل يبدو كما لو كان يمتلك جيشًا بالفعل!

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا ... إنه يملك أكثر من عشرين طائرة بعضُها مزوَّد بالصواريخ، كما يملك عددًا من السفن البحرية بعضها أشبه بالترسانات البحرية ... بل إنه يمتلك غواصة خاصة تقف أمام سواحل البلاد مستعدة لنقله في أية لحظة بعيدًا إذا داهمه الخطر ... وقد قدَّرَت بعض المصادر ثروةَ هذا الرجل بعشرين مليار دولار أمريكي ... وبذلك فإنه قد يكون أغنى رجل في العالم.

زبيدة: وأكثرهم شرًّا أيضًا.

رقم «صفر»: إن مهمتكم مزدوجة ... أولًا القضاء على البارون «بابلوجوانزالو» ... والتخلص منه بأي شكل من الأشكال ... وتذكَّروا وأنتم تفعلون ذلك أن هذا الرجل مسئول عن قتل عشرات الآلاف من شبابنا وتدميرهم بالسموم التي يُصدِّرها إلينا ... ولكن قتل هذا الرجل ليس كافيًا؛ فإن هذه العصابات تمتلك نظامًا يكفل لها إيجادَ زعماء جُدُد بسرعة، وبالتالي سنكون كمَن قطع ذَنَب الحية لا رأسها ... ولذلك فإن الجزء الثاني من مهمتكم سيكون هو تدمير معامل تصنيع وتخليق الكوكايين، والتي أُنشئَت على حدود مدينة «ميدين» خلف تلالها في منطقة مليئة بالغابات ... والمستنقعات، والأحراش ... إنكم سوف تكونون بين فكَّي كماشة ... فلن يكون عدوُّكم هو «بابلوجوانزالو» وجيشَه فقط ... بل والأهالي المقيمين بنفس المكان ... وأيضًا المخاطر الطبيعية التي ستواجهكم في نفس المنطقة.

قال «عثمان» في غضب مكبوت: إن الهدف الذي نسعى إليه يستحق المخاطرة ولو كانت أضعاف هذه المخاطر.

رقم «صفر»: أنا أثق في حُسْن أدائكم لهذه المهمة ... إن حكومات عربية عديدة تعتمد عليكم، وتنتظر النتائج في هذه المهمة الصعبة ... لقد تم تجهيز أوراق السفر

لكم إلى العاصمة الكولومبية «بوجوتا» باعتباركم أفراد محطة تليفزيونية غربية ترغب في تغطية الأحداث الجارية وحرب المخدرات في «ميدين» ... وعلى هذا الأساس ستحصلون على تصاريح لزيارة «ميدين»، والتجول فيها بحرِّية، وإضفاء طابع شرعي على مهمتكم. ولكن تذكَّروا أنكم ستكونون دائمًا تحت المراقبة من رجال البارونات وحرَّاسهم ... إن كلَّ شخص سيُصادفكم هناك قد يكون جاسوسًا عليكم، ولن يتوانى عن قتلكم في أية لحظة يشك فيها في مهمتكم ... ويكفي أن تعرفوا أن هذه العصابات قتلَت عشرين صحفيًّا حتى الآن!

ومرت لحظة صمت قبل أن يُضيف رقم «صفر»: هل هناك أية أسئلة؟

زبيدة: كيف سنحصل على الأسلحة التي سنواجه بها شياطين المخدرات هناك؟

رقم «صفر»: لن تكون هناك أية أسلحة.

وأجاب رقم «صفر» على خواطرهم: كما أخبرتكم؛ فإن كلَّ عين ستُصادفكم هناك ستكون عينًا عليكم، وسيُجرى تفتيشُ أمتعتكم عشرات المرات ... وبذلك فإن أيَّ سلاح ستتسلحون به ولو كان مجردَ خنجر صغير سوف يُثير الريبة والشك فيكم ... إن أفضل حماية لكم أن تكونوا بلا سلاح، وعندما تبدأ المواجهة فسيكون من السهل عليكم الحصول على السلاح الذي ستحاربون به جيش البارون ... من نفس الجيش ... أنا أعرف أنني أرسلكم إلى المستحيل ... ولكني أثق في قدرتكم مهما كانت الظروف التي تُواجهكم ... لقد واجهتم المستحيل من قبل وقهرتموه ... وهو ما أنتظره منكم هذه المرة أيضًا.

وساد بعد كلمات رقم «صفر» سكونٌ قاتل، وكان أشبهَ بالسكون الذي يسبق العاصفة!

«ميدين» ... عاصمة المخدرات ... والموت!

هبطَت طائرةُ الركاب في مطار «بوجوتا»، وأنهَى الشياطين الأربعة إجراءاتهم الجمركية، وكانت هناك سيارة في انتظارهم أقلَّتهم إلى فندق النجمة الزرقاء بوسط العاصمة الكولومبية، وكان الطريق من المطار إلى قلب العاصمة يمرُّ بطرق عديدة أغلبُها منحدرٌ تحفُّ به بعض الأشجار الاستوائية ... وقد ظهرَت منطقةُ الغابات على البعد.

وكانت هناك أربع حجرات محجوزة بأسماء الشياطين ... وقال موظف الاستعلامات بدهشة وهو يتأمل جوازات سفر الشياطين: هل أنتم صحفيون؟

– وما العجيب في ذلك؟

– إن قليلًا من الصحفيين ومصوري المحطات التليفزيونية الخاصة يأتون إلى هنا هذه الأيام، إنهم على قائمة الذين تقوم فِرَق الموت باغتيالهم.

قال «أحمد» ضاحكًا: سيُسعدنا أن نصادف أحدًا من العاملين بفِرَق الموت ... ستكون خبطة صحفية رائعة عندما نسجِّل له حديثًا خاصًّا.

هزَّ الموظف رأسه بأسف قائلًا: إن هؤلاء السفاحين لا يتعاملون إلا بطلقات الرصاص. لقد بات السكان هنا في رعب من أن يكون أحدهم هو الضحية التالية لفرق الموت!

أحمد: لا عليك ... إننا نعرف كيف نحمي أنفسنا جيدًا ... وكل ما نريد معرفته هو موعد أول سيارة أتوبيس ستتجه إلى «ميدين» غدًا.

ظهر الذعر على الموظف وهتف مستنكرًا: «ميدين» ... هذا جنون ... إنكم بذلك تقدِمُون على الانتحار، فحتى رجال الشرطة هناك يخشَون على أنفسهم!

ترامق الشياطين في صمت ... وقالت «إلهام» بهدوء: ولكنك لم تُخبرنا عن موعد أول أتوبيس.

ابتلع الموظف لعابَه وأجاب: ليست هناك أتوبيسات، بل يمكنكم استئجار سيارة خاصة، وإن كنت لا أنصح لكم بذلك؛ فالطريق جبلي منحدر شديد الخطورة، وسيستغرق السفر نصف يوم ... هذا بالإضافة إلى أن ذلك الطريق مراقَب بفرق الموت المنتشرة حوله لمنع أي غرباء من دخول المدينة حتى لو أدَّى ذلك إلى القتل.

أحمد: سوف نشرح لهم مهمتنا إذا صادفناهم.

– إنهم لن ينتظروا ليسمعوا شرحًا ... فهم يُطلقون الرصاص أولًا ... ثم يتساءلون بعد ذلك. ترامق الشياطين مرة أخرى ... وابتسمَت «زبيدة» وهي تسأل: وماذا تقترح؟

– إن السفر بالطائرة أفضل ... وإن كنت لا أنصحكم بهذه المغامرة على الإطلاق.

إلهام: سوف نتذكَّر نصيحتك، وثِق أننا سنضعها في اعتبارنا.

أحمد: وإن كان هذا لا يمنع من أن تقوم بحجز أربعة مقاعد لنا بأول طائرة ستُقلع غدًا إلى «ميدين».

وصعد الشياطين إلى حجراتهم ... ووضعوا حقائبهم القليلة ... كانت حقائب من نوع خاص بحفظ كاميرات الفيديو وأجهزة التسجيل ... وكانت هيئة الشياطين تُوحي أنهم مصورو محطة تليفزيونية خاصة ... تسعى إلى الإثارة بأي ثمن.

عثمان: إن الوقت لا يزال ظهرًا ... ما رأيكم ... هل نحصل على بعض الوقت للراحة ثم نقوم بجولة صغيرة في المدينة؟

ضاقت عينَا «أحمد» وقال: من الأفضل أن نقوم بجولة سريعة في هذه المدينة.

إلهام: إذن هيَّا بنا.

واتجه الشياطين خارجين ... وموظف الاستعلامات يرمقهم في صمت ... واستقلُّوا تاكسيًا، فسألهم السائق: إلى أين؟

– إلى أيِّ مكان في العاصمة، إننا سياح ونرغب في مشاهدة المدينة.

قال السائق: لم يَعُد هناك كثيرٌ من السياح يأتون إلى بلادنا ... بالرغم من أنها بلاد جميلة.

وانطلقت السيارة ...

كانت مساحة المدينة صغيرة ... لا يزيد عدد سكانها عن مليونَي مواطن ... والمدينة مبنية فوق منطقة مرتفعة؛ ولذلك أحسَّ الشياطين بنقص الهواء والأوكسجين بسبب ارتفاع المدينة ... وعلى مسافات متقاربة كانت تقف سيارات للشرطة والجيش، وقد أطلَّ منها الجنود المسلحون ... وكانت هناك مساحات واسعة خضراء في كل مكان ... والمباني

صغيرة أنيقة جميلة ... غير أن الظاهرة الملحوظة كانت خلوَّ الشوارع من سكانها بالرغم من منتصف النهار.

قال «أحمد»: يبدو أن الظروف الأمنية السيئة قد ألقَت بظلالها على هذه المدينة الجميلة.

السائق: إن شعبنا من أكثر الشعوب المحبَّة للمرح واللهو، ولكن لا يمكن للإنسان أن يخاطر بحياته في ظلِّ رصاصات طائشة، وقنابل تنفجر هنا وهناك ... لقد فضَّل الناس التزامَ بيوتهم فلا يغادرونها إلا للضرورة.

وعاد الشياطين بعد ساعتين إلى فندقهم ... واستقبلهم الموظف قائلًا: لقد قمتُ بحجز أربعة مقاعد على الطائرة التي ستغادر «بوجوتا» إلى «ميدين» في التاسعة صباحًا.

عثمان: هذا حسن جدًّا!

وصَعِد الشياطين إلى حجراتهم ... وما كاد «أحمد» يخطو إلى حجرته ومعه «عثمان» حتى توقَّف وهو يتفحص حقائبه وأشياءه ... والتفت إلى «عثمان» وهو يقول: لقد حدث ما توقعت ... لقد تعرَّضَت حقائبنا لتفتيش دقيق.

عثمان: أهذا ما جعلك تطلب منَّا النزهة في «بوجوتا» بعد وصولنا مباشرة؟

أحمد: نعم، لقد أردتُ اختبارَ قوة هؤلاء البارونات وتنظيمهم ... ولقد أثبتوا أنهم على قدر كبير من المهارة والحذر ... ولا بد أن خبرَ وصول مصورين من محطة تليفزيونية قد انتقل سريعًا إلى هؤلاء البارونات، وجاءت أوامرهم بالتأكد من شخصياتنا وتفتيش حقائبنا ... لقد كان رقم «صفر» على حقٍّ تمامًا في طلبه منا عدمَ حمل أية أسلحة.

عثمان: وهذا يعني أننا صِرْنا تحت رقابة ملوك المخدرات في هذه البلاد ... من قبل أن تبدأ مهمتنا.

أحمد: لقد بدأ التحدي يا صديقي العزيز ... وعلينا قهرُ المستحيل كما قال رقم «صفر».

لم تستغرق الرحلة إلى «ميدين» أكثر من نصف ساعة.

ومن نافذة الطائرة بدَت «ميدين» كعاصمة خرافية لا حدودَ لسحرها وجمالها ... فقد كانت محاطةً بالتلال من كل الأركان كأنما سقطت المدينة في حضن الوادي العميق ... وقد ظهر في قلب المدينة عددٌ كبير من المباني الضخمة الفاخرة تُحيط بها مساكن صغيرة بيضاء اللون، وقد انتشرَت إلى الخلف مساحات هائلة من الأرض المزروعة، لم يكن هناك شكٌّ في أنها لنبات الكوكا الشيطاني.

واستقرَّت الطائرة فوق ممرِّ الهبوط بالمطار الواقع في قلب المدينة ... وكان هناك عددٌ كبير من رجال الجيش والبوليس.

وتفحَّص ضباط الجوازات جوازات السفر، وقطَّب أحدُهم حاجبَيه قائلًا: إنكم تُخاطرون بالمجيء إلى هذه المدينة والبقاء فيها.

ابتسم «أحمد» وقال: بل إننا نسعى للحصول على تصريح بتصوير قصور وأملاك البارونات الموجودة في المدينة.

– إن هذا يحتاج إلى تصريح خاص من قائد الشرطة في المدينة ... سوف أُبلغه فورًا.

واستقبلهم قائد الشرطة مرحِّبًا وقال: إننا لا نستطيع منعكم من أداء عملكم ... إن كل الأمور مستتبة هنا والأمن جيد، ولكن ...

وصمت قائد الشرطة وانتظر الشياطين في صبر ... وأكمل قائد الشرطة ببطء: ولكننا لن نستطيع أن نمنع رصاصات قد تنطلق من أيِّ مكان نحوكم ... إن الكثيرين هنا من الموالين لبارونات المخدرات، ولا يمكن أن نضمنَ حمايتكم بأيِّ شكل من الأشكال.

عثمان: ونحن لا نطلب هذه الحماية، وسوف نتولَّاها لأنفسنا ... بأنفسنا ...

– في هذه الحالة سأمنحكم التصريحَ اللازم ... بشرط أن تُوقِّعوا على إقرار بتحمل المسئولية، ووقَّع الشياطين الإقرار، وحملوا التصريح واتجهوا خارجين.

وقال قائد الشرطة لنفسه في أسًى: يبدو أن ضحايا فِرَق الموت سوف يزيدون أربعة أشخاص اليوم!

وفي الخارج استقل الشياطين تاكسيًا حملَهم إلى قصر البارون «بابلوجوانزالو» ... ورمقهم السائق في مرآته الداخلية بصمت وعداء بدون أن يتبادلَ معهم أيَّ حديث ... وما إن توقَّف التاكسي أمام أبواب القصر وغادره الشياطين حتى كان السائق يُدير قرص التليفون اللاسلكي ويتحدث في مكالمة سريعة حدَّد فيها أوصاف الشياطين ... وتوقَّف الشياطين أمام قصر البارون «بابلوجوانزالو» ... وكان القصر ضخمًا يفترش مساحة ضخمة من الأرض ... وقد بدَا كأنه عدة قصور متصلة ببعضها، طابعها الفخامة والثراء الشديد، تُحيطها حدائقُ واسعةٌ ذات أشجار نادرة ... وتناثر في الأركان عددٌ من حمامات السباحة المصنوعة من الرخام والمرمر ...

ولم يكن هناك أيٌّ من الحراس بالأبواب ... وقد بدَا المنظر غامضًا مريبًا ...

وتساءلت «إلهام» بقلق: أين ذهب حراس الأبواب؟!

تطلَّع «أحمد» حوله، فقال: يبدو أن هناك مفاجأة في انتظارنا داخل هذا القصر.

عثمان: إذن ماذا تنتظرون ... هيا بنا؛ فقد بدأتُ أتحمَّس للمفاجآت والقتال.

وتقدَّم الشياطين الأربعة داخلين الحديقة المرصوف مدخلها بفسيفساء والرخام، وفي منتصف المسافة تمامًا ما بين البوابة وبين القصر ظهرَت فوهة مدفع رشاش مصوَّبة نحو الشياطين ... وفي نفس اللحظة التي انطلقَت فيها الرصاصات كالمطر نحو الشياطين صرخَت «زبيدة» تحذِّر الباقين ...

ولكن صرختها جاءت متأخرة ... متأخرة جدًّا ...

خطة إلى الجحيم!

جاءت صرخة «زبيدة» متأخرة ... لأن تصرُّفَ بقية الشياطين كان أسرعَ منها ... فقد التقطَت عينَا «أحمد» فوهة المدفع الرشاش الذي صُوِّبَ نحوهم ... وما إن لمح الإصبع التي تضغط زناد المدفع حتى دفع بـ «إلهام» و«زبيدة» نحو الأرض ... في اللحظة التي صرخَت فيها «زبيدة» ... وكان «عثمان» من السرعة ودرجة التيقُّظ بحيث إنه ما كاد يلمح «أحمد» يفعل ما فعله حتى قفز وألقى بنفسه على الأرض بعيدًا.

وهكذا طاشَت الرصاصاتُ القاتلة ... وفي اللحظة التالية زحف الشياطين بأجهزة تصوير الفيديو التي كانوا يحتفظون بها، واحتموا خلف عددٍ من التماثيل المرمرية الثمينة، ومرة أخرى انطلقت دفعة من الرصاصات نحو الشياطين، ولكنها أصابَت أطراف رءوس التماثيل فحطَّمَتها. وصاح «أحمد» بصوتٍ عالٍ يخاطب مهاجميه بالإسبانية: لا أظن أن البارون سيُعجبه ما فعلتموه وتحطيمكم لتماثيل قصره.

وساد صمتٌ وسكون بعد كلمات «أحمد» ... وتلفَّت الشياطين حولهم من خلف التماثيل ... لم يكن هناك أيُّ أثر للمهاجمين ...

وهمسَت «إلهام»: هل تظنون أنهم ابتعدوا؟

أحمد: لا أظن أنهم ابتعدوا كثيرًا ... ولعلهم يبحثون عن مكان لاصطيادنا من الخلف دون مزيد من الخسائر لتماثيل القصر ... إنهم يدبِّرون كمينًا.

قالت «زبيدة» بقلق: وما العمل الآن ... إننا أشبه بمن نكون في فخ، وليس معنا أيُّ سلاح لندافع عن أنفسنا ... وقد اختفى حراس هذا القصر من الشرطة والجيش بطريقة مريبة!

عثمان: لسنا بحاجة إلى مَن يحمينا حتى لو كنَّا بلا سلاح.

وأخرج كرته المطاطية، وأخذ يعبث بها وهو يقول: إن «بطة» صارت متأهبة للقتال تمامًا، ومستعدة للانطلاق كالعاصفة وإصابة الهدف كالقذيفة.

إلهام: المهم أن تجد «بطة» ما تُصيبه ... لقد اختفى مهاجمونا ... إنهم من رجال حرب العصابات وهم يُجيدون التخفِّي!

قطَّب «أحمد» حاجبَيه، وقال: إن لديَّ فكرة.

سألت «زبيدة»: ماذا ستفعل يا «أحمد»؟

– انتظروني هنا.

وزحف «أحمد» مبتعدًا وعيون الشياطين تُتابعه في قلق حتى اختفى داخل غابة صغيرة من النباتات الاستوائية الكبيرة المزروعة في المكان.

ووقف «أحمد» يُنصت لحظة ... كان متأكدًا أنه اختار المكان المناسب، وأن مهاجميهم من رجال العصابات اختاروا نفس المكان للاختفاء واصطياد الشياطين من الخلف ... وأرهف «أحمد» أُذُنَيه ... وابتسم لصحة استنتاجه.

فمن اليسار سمع صوت أقدام فوق الأرض تسير في حذر ... وقدَّر «أحمد» أنها لشخصين فكمن في مكانه.

وظهر له الشخصان ... كانت هيئتهما تدل على أنهما رجال عصابات المخدرات، وليس من شك أنهما من رجال «البادرينو» والأب الروحي ... «بابلوجوانزالو» ... وكانَا يحملان في أيديهما المدافع الرشاشة وهما يسيران بحذر مقتربين من الناحية الخلفية للشياطين ليصطادوهم من الخلف.

وفكَّر «أحمد» في أن وجود هذين القناصَين بداخل القصر وظهورهما السريع، وأيضًا اختفاء رجال الشرطة والجيش من المكان، كل هذا يعني أن قصر «البادرينو» لا يزال تحت سيطرته هو ... وأن رجال عصابات المخدرات وإن كانوا قد غادروا «ميدين» فإن نفوذهم لا يزال يبسط ذراعَيه حول المدينة.

اقترب «أحمد» بهدوء من القناصَين ... وعندما شاهدهما يصوبان مدافعهما الرشاشة نحو ظهور الشياطين ... وقبل أن تنطلق أولى الرصاصات طار «أحمد» في الهواء مطلقًا صيحة عالية.

وما كاد القناصان يُديران وجهَيهما في دهشة عظيمة نحو مصدر الصوت، حتى حلَّ الذهول والألم الشديد محلَّ الدهشة في وجهَيهما ... عندما انطلقَت قدمَا «أحمد» كالطوربيد لتُصيبَ كلًّا منهما ... فألقت بهما للخلف، وقبل أن يشرعَا في استخدام أسلحتهما ضد

«أحمد» طارت قبضة «أحمد» في ضربات سريعة متتالية نحو القناصَين، فاستلقيَا على الأرض وهما يتأوهان، وقد تورَّم وجهاهما من الضرب ... واستولى «أحمد» على أسلحة القناصَين، وأخذ يتأمل الأسلحة ... وكان من الواضح له أن تلك الأسلحة قادمة من دولة إرهابية تساعد كلَّ المشبوهين في العالم وتمدُّهم بالسلاح لإثارة الاضطرابات في العالم وخاصة بالمنطقة العربية.

أسرع بقية الشياطين نحو «أحمد» وشاهدوا القناصَين ملقَينَ على الأرض، وقد استولى «أحمد» على سلاحهما، فقال «عثمان» ساخرًا: يبدو أن القطط قد وقعَت في المصيدة بدلًا من الفئران ... وأرى أن نتخلص منهما؛ فهناك المزيد من القطط في حاجة لمن يقطع ذيلها ...

أشار «أحمد» لـ «عثمان» ألَّا يتحدث ... وبلغة العيون كان ينقل إليه الرسالة التالية: «ليس في صالحنا قتلُ هذين القناصَين ... بل لديَّ خطة أفضل ستؤمِّن لنا الوصول إلى مكان «البادرينو» بسهولة ... سوف نتبع تكتيكًا مختلفًا هذه المرة ...»

قرأت «إلهام» و«زبيدة» رسالة «أحمد» ... وصمتوا جميعًا ... وقال «أحمد» للقناصَين: إنني آسف لما جرى لكما ... ولكنكما بادرتما بالهجوم قبل أن تسألَا، وبالطبع ما كان يمكننا أن نقابل التحية إلا بأحسن منها ...

ضاقَت عينَا أحد القناصين، ومسح خيط الدماء الرفيع الذي سال من أنفه، ونظر إلى الشياطين في ريبة، وقال: مَن أنتم؟

قالت «إلهام»: كما ترى ... نحن مجموعة من مصوِّري إحدى المحطات التليفزيونية الأوروبية، جئنا لتغطية أحداث حرب المخدرات في هذا البلد.

قال القناص الآخر: لم يَعُد يأتي إلى هذا المكان أيُّ صحفيِّين ... إن مصيرهم معروف هنا ... الموت!

أحمد: ولكننا أتينا بالرغم من ذلك تحديًا للموت.

قال القناص الأول بشك: إنكم تبدون كما لو كنتم مجموعة من القناصة ... لا مصورين تليفزيونيِّين ...

عثمان: هذه هي نصف الحقيقة ... فعندما اختاروا مَن يقوم بهذه المهمة كان عليهم أن يختاروا مَن يُجيد التعامل مع الرماية والقنص ... ومن هنا كان اختيارهم لنا ... أظن أن هذا يفسر المسألة كلها ...

زبيدة: ولكننا جئنا في عمل وليس للقتال ... نحن طرف محايد تمامًا، ولا شأنَ لنا بما يجري في هذه البلاد غير نقل صورة أمينة عما يحدث هنا للعالم ... ولا بد أنكم أدركتم

ذلك بعد أن قمتم بتفتيش كلِّ أمتعتنا فلم تجدوا غير الأجهزة والكاميرات التي نستعملها في عملنا.

ظهرَت الدهشة على وجه القناص الثاني، وقال: يبدو أنكم تعرفون أشياء كثيرة ... ولا يسهل خداعكم!

إلهام: أخبرناكما من قبل أننا لسنا مجموعةَ هواة ... إننا محترفون ونعرف ما نفعله جيدًا ... وإلا ما تركنا بيوتنا الآمنة وجئنا إلى هذا المكان.

مرَّت لحظاتٌ من الصمت ... وتبادل الشياطين النظراتِ ... وأمسك «أحمد» بأسلحة القناصَين ثم ألقاها إليهما في جرأة قائلًا: استردوا أسلحتكم ...

وظهر الذهول على وجوه الشياطين الثلاثة ... ولكن نظرات «أحمد» أقنعَتهم بالتزام الصمت ... وظهر تساؤل عميق في عينَي القناصَين ... وفي بطءٍ تناولَا أسلحتهما ... وقال «أحمد» في هدوء: إنني أريد إثبات حسن نيتنا تجاهكما ... إننا كما قلت من قبل طرف محايد ... ليس لنا عداء معكم ولا مع البارون.

قال القناص الأول وهو يستعيد سلاحه: يبدو أنكم على حق ... لقد كنَّا نظنكم بعضًا من رجال القوات الخاصة التي تعمل بالتنسيق مع الحكومة ضدنا ... ولكن ما حدث الآن يلغي تلك الفكرة تمامًا.

وضاقَت عيناه وهو يقول: والآن ... ماذا تريدون؟

وبهدوء أجاب «أحمد»: لقد جئنا لمقابلة البارون «البادرينو» وسنقابله.

صاح القناص الأول: هذا مستحيل تمامًا ... إن ما تقوله جنون.

أحمد: ولمَ لا؟ ... لا شك أن البارون يريد أن ينقل وجهةَ نظرِه للعالم ... إنكم تقاتلون الحكومة ولا يسمع العالَمُ غيرَ وجهة نظر الحكومة ... لقد جئنا لنسمع وجهة نظر البارون في هذه الحرب، وننقلها إلى العالم ... ولا شك أن البارون سيرحِّب بذلك تمامًا.

– يبدو أنكم واثقون مما تقولونه.

– أخبرتكما من قبل أننا لسنا هواة.

– هذا حسن ... فالبارون لا يحب التعامل مع الهواة ... انتظروا هنا قليلًا ... وسنأتيكم بردِّ البارون ...

تبادل الشياطين النظر في صمت مع القناصَين اللذَين ابتعدَا واتجهَا داخل قصر البارون ...

وهمس «عثمان»: هذا مذهل ... كانت خطتك بارعة يا «أحمد»! سوف نَصِل إلى مكان البارون بأسهل وسيلة وبأسرع ما يمكن ... وبلا حاجة إلى اقتحام مكانه أو البحث عنه.

تساءلَت «زبيدة» في قلق: هل تظنون أنهما صدَّقوا روايتنا ... وأن البارون سيقابلنا بالفعل؟!

أحمد: سوف نعرف إجابة ذلك حالًا.

إلهام: هل تظنون أن البارون ... لا يزال في قصره؟

أجاب «أحمد»: لا أظن ... إنه في مكان قريب ولكنه لن يبقى في قصره ... وأعتقد أن القناصَين ذهبَا لإبلاغه بطلبنا باللاسلكي أو التليفون ... سوف نتأكد حالًا.

ومرَّت لحظات قليلة متوترة كأنها ساعات ... وبدأ الشياطين يحسُّون بالقلق ... تُرَى هل جازت خدعتهم على رجال عصابة المخدرات ... وهل تصرَّف «أحمد» بذكاء عندما أعاد سلاح رجلَي العصابة إليهما في حين أن الشياطين كانوا يستطيعون الوصول إلى مكان البارون من خلال رجلَي العصابة وتهديدهما بالقتل ... وهل سيسمح لهما البارون بمقابلته ... وأخيرًا ... حتى بفرض سماح البارون لهم بمقابلته، فكيف سيتمكنون من التخلص منه وسطَ آلاف من رجال عصابته وهم بلا سلاح؟!

ولمعَت عينَا «عثمان» وبلغ أشدَّ التوتر وهو يقول: يبدو أن هناك خدعة تُدَبَّر لنا! علينا باقتحام هذا القصر و...

ولم يُكمل «عثمان» عبارتَه ... حتى ظهر رجلَا العصابة وقد كسَا ملامحَهما الجمود، وقال أحدهما وهو يضع يدَه على مدفعه الرشاش متأهبًا: لقد وافق «البادرينو» على عرضكم ... سوف تُقابلونه.

عثمان: هذا حسن جدًّا ... دعونا نذهب.

نظر إليه رجلَا العصابة في صمت ولم يردَّا ... ومن بعيد تعالَى صوتُ طائرة عمودية راحَت تقترب حتى هبطت أمام الشياطين.

وأشار رجلَا العصابة للشياطين بالركوب ... وفي صمت ركب الشياطين الأربعة وخلفهم رجلَا العصابة ...

وما إن حلَّقَت الطائرة عاليًا ... حتى شعر الشياطين أنهم باتوا في قلب المعركة، وأنهم ذاهبون إلى الجحيم ... بإرادتهم.

قصر ... وسط غابات الأمازون!

استغرقَت رحلةُ الشياطين عدة ساعات. لم ينطق خلالها رجال البارون بكلمة واحدة ... ولم يكن الشياطين بحاجة لمن يخبرهم عن وجهتهم ... كانوا يتجهون جنوبًا ... نحو حوض نهر الأمازون باتجاه البرازيل ... تلك المنطقة الشاسعة المهولة من الغابات البرية الاستوائية التي تكاد تكون عالمًا مغلقًا مجهولًا ... والتي اختبرها الشياطين من قبل في مغامرة «سباق الموت» وكادوا يضيعون في متاهات ... حيث الداخل إلى تلك الغابات مفقود ... والخارج مولود ...

تبادل الشياطين النظراتِ في صمت ... فقد أحسن «البارون» اختيارَ مكان اختفائه ببراعة ... حيث يستحيل أن تطولَه أيةُ يدٍ مهما بلغَت قوتَها وهو مختفٍ داخل حوض نهر الأمازون ... وحلَّقت الطائرة فوق منطقة كثيفة ذات قمم خضراء متشابكة ... واجتازَت عددًا من البِرَك والمستنقعات، ثم أخذَت تحوم فوق بقعة خضراء واسعة تُحيطها المياه من كلِّ جانب.

وقال «عثمان» باسمًا: أظن أننا قد وصلنا.

وبالفعل بدأت الطائرة الهليكوبتر هبوطَها وسط الأشجار الكثيفة في براعة تقطع بمهارة قائدها.

وأسفل قمم الأشجار العالية يظهر للشياطين منظرٌ لم يكونوا ليظنوا وجودَه إلا في حكايات ألف ليلة وليلة.

ففوق الجزيرة الصغيرة ووسط الأشجار الضخمة العملاقة التي كوَّنَت ما يُشبه مظلَّة خضراء طبيعية تُخفي ما تحتها ... وسط ذلك كلِّه ظهر قصرٌ كبير أشبه بالقصور الخرافية ... كأنه ينبت في نفس المكان، فقد كان مبنيًّا على طراز هندي بالقباب المتدرجة والمنمقات

الزخرفية البالغة الروعة ... وكانت جدرانه تبدو كما لو كانت صُبَّت من الرخام، ونوافذه كما لو أنها صُنعت من سبائك الذهب ... وقد انتثرَت التماثيل الرائعة في مدخله، وكذلك النوافير التي كانت تحفة فنية عالية.

قال «أحمد» ساخرًا: وحراسة عنيفة ودموية عالية أيضًا!

وأشار إلى اليسار حيث ظهر عددٌ من المدافع المضادة للطائرات، وعددٌ من الحراس يحملون الصواريخ فوق أكتافهم. وعلى مسافة ظهرَت بعضُ الزوارق المسلَّحة السريعة وهي تقوم بدورات مراقبة حول القصر.

إلهام: إن القصر يبدو كما لو كان قلعةً محاطة بالحراسة ... قلعة تكلفت عشرات الملايين.

عثمان: والثمن ملايين من الضحايا من الشباب.

هبطَت الطائرة أمام ساحة القصر تمامًا ... وخرج الشياطين منها ... وعاودت الطائرة التحليق بباقي مَن كانوا فيها.

ووقف الشياطين لحظاتٍ يتأملون ما حولهم ... لم يتقدم إليهم إنسان ... وكانوا موقنين أن هناك عينًا خفية تُراقبهم.

قال «أحمد» باسمًا للباقين: أرى أن نبدأ مهمتنا.

وأخرج كاميرا الفيديو الخاصة به، وأخذ يلتقط فيلمًا قصيرًا للقصر وما يحيط به من أشجار ومظاهر للترف ... وتظاهرَت «إلهام» بأنها تلتقط بعض الصور ... وتقدَّمَت نحو بعض الأشجار القريبة التي كانت تمثِّل حاجزًا طبيعيًّا بين القصر وبين الوصول إليه من الخلف ... جهة الماء ... وما كادت تخطو نحو الأشجار حتى دوَّى زئير رهيب ... وقبل أن تتمكن «إلهام» من أن تفعل شيئًا ... قفز نمر هائل الحجم من وسط الأشجار نحوها.

كان الموقف رهيبًا ... مفاجِئًا ... وفوجئت «إلهام» بالنمر، وفي اللحظة التي كاد فيها النمر أن يلمسها كانت سكين «أحمد» قد طارَت كالسهم لتستقر في قلب النمر ... في اللحظة التي كانت كرة «عثمان» قد استقرَّت ما بين عينَي النمر كالقذيفة أيضًا.

وسقط النمر على الأرض وهو يتلوَّى من الألم ... ثم خمدَت حركتُه وسكنَت تمامًا ... ونهضت «إلهام» من سقطتها لا تصدِّق بنجاتها ... وأسرع إليها باقي الشياطين ليطمئنوا عليها ... وقالت «إلهام»: يبدو أن هذا المكان مليءٌ بالفخاخ والمفاجآت!

وابتسمت لـ «أحمد» وهي تقول: لم أكن أظن أنك تحمل سكينًا!

أحمد: إنه سلاح الطوارئ.

ظهر بعضُ الحراس قادمين من داخل القصر ... واقتربوا من الشياطين، وكان أحدهم يبدو كما لو كان قائدًا، فرمق النمر القتيل في صمت، ثم قال بوجه متجهم: لا أظن أن البارون سيسعد عندما يعلم بنبأ وفاة نمره الخاص.

إلهام: ولا أظن أنه من واجب الضيافة أن يكون في استقبال الضيوف ... نمر قاتل.

– ليس الخطأ خطأ النمر ... بل خطأ الفضول القاتل ... اتبعوني.

سار الشياطين الأربعة خلف قائد الحرس الذي قادهم داخل القصر ... وكان من الداخل مفروشًا بعناية وسخاء ... وقادهم إلى قاعة واسعة فاخرة الرياش، وقال: سوف يأتي البارون حالًا ... هل تطلبون شيئًا؟

ابتسم «عثمان» قائلًا: بعض العصائر ... إن أمكن ...

أجاب القائد: إن كلَّ ما تتخيلونه موجود هنا.

وخرج القائد ... وبعد قليل أقبل بعضُ الخدم وهم يحملون كئوس العصير فوق الصواني من الفضة الخالصة، وتناول الشياطين العصير ... وبدءوا يتفاهمون بلغة الإشارة، فقالت «زبيدة»: إن هذا الرجل البارون يعيش وسط هذا المكان كما لو كان ملكًا أو سلطانًا في الأساطير!

عثمان: ولا شك أنه شديد الذكاء ... فبناء مثل هذا القصر الفاخر في هذا المكان يدل على أنه كان يتوقع تلك الحرب الدائرة بينه وبين الحكومة، فاحتاط ببناء هذا القصر الذي أحاطه بكل الحماية ليُدير منه شبكته الواسعة.

إلهام: لماذا لم يظهر البارون حتى الآن؟

أحمد: لعله مشغول بمقابلة بعض عملائه أو تصريف تجارته القاتلة.

أشارَت «زبيدة» بقلق: ولكننا لم نضع خطة للتعامل مع هذا الرجل!

أحمد: سوف نترك ذلك للظروف ... فهذا البارون شديدُ المكر ... ولن تُجديَ معه أية خطة مسبقة.

ألقَت «إلهام» نظرة من نافذة القاعة، فشاهدَت من الخارج حديقة واسعة مليئة بالنباتات والأشجار الاستوائية النادرة تُشبه حديقة قصر البارون في «ميدين».

ومن قلب الحديقة ظهرَت فوهةُ مدفع كبير مخفاة وسط الأشجار ... ومصوبة نحو القصر ... وبالتحديد نحو مكان الشياطين.

تصاعدَت دقات قلب «إلهام» ... واستدارت بسرعة نحو بقية الشياطين ... وفي هذه اللحظة اصطدمَت عيناها بعينَي البارون ... الذي دخل إلى القاعة ... بدون أن ينتبهوا إليه ... فأخذ يرمق الشياطين بعينَين حادَّتَين خاصة «إلهام» ... وقد التمعَت في عينَيه نظرةٌ قاسية ... ساخرة إلى أقصى حد.

داخل العرين!

قال البارون: مرحبًا بكم في قصري المتواضع.

أحمد: إنك رجل المفاجآت حقًّا يا سنيور.

البارون: هذه هي عادتي ... إني أحب أن يكون كلُّ ما يحيط بي مليئًا بالمفاجآت والفخاخ أيضًا ...

أحمد: هل كان هجوم نمرك علينا ... إحدى هذه المفاجآت؟

ابتسم البارون وأشعل سيجارًا فاخرًا، وقال: يعجبني ذكاؤكم، فأنا لم أصادف منذ فترة الهواة؛ ولذلك أدهشني مجيءُ مجموعة من المحترفين إلى هذا المكان ... ومن أجل هذا فقط كان سماحي باستقبالكم ... إن تعاملكم مع رجالي وقدرتكم الفائقة التي أظهرتموها في قتل النمر المفضَّل إليَّ، كل هذا يجعلني أثق في أنكم ... لستم عاديِّين.

عثمان: ربما لأننا جئنا لنقابل رجلًا غير عادي.

البارون: ولكنكم لم تُخبروني ... إلى أية محطة تليفزيونية خاصة تعملون؟

بهدوء أجابه «أحمد»: لسنا تابعين إلى محطة خاصة ... إننا نعمل ونأتي بالأخبار والأفلام التي لا يمكن لغيرنا أن يأتيَ بها ... ثم نبيعها لمن يدفع أكثر.

ابتسم البارون قائلًا: هذا يعجبني ... ولماذا اخترتموني بالذات من كل بارونات «كولومبيا»؟

عثمان: إنه الحظ أو الصدفة ... دخلنا قصرك فقابلنا رجالك ... وها نحن هنا.

قطب «البادرينو» حاجبَيه قائلًا: أظن أنكم لستم متعجلين ... تستطيعون الحصول على بعض الراحة في قصري ... وبعدها يمكنكم أن تقوموا بعملكم.

وأشار بيده ... وفي الحال ظهر قائد الحرس وخلفه مجموعة من الرجال المسلحين.

وقال البارون: اعتبروا أنفسكم في بيوتكم.

وقادهم رئيس الحرس خارجًا ... وعندما التفتَت «إلهام» للخلف شاهدَت على وجه البارون نفس ضحكته القاسية ... الساخرة.

واستقر الشياطين الأربعة في حجرة واسعة بالطابق الثاني من القصر ... وكانت نوافذها محاطةً بقضبان سميكة ... ولمح «أحمد» سلكًا رفيعًا قد أُحيط بالنافذة من الخارج.

فقال وهو مقطِّبٌ الحاجبَين: أظن أن هذا السلك يحمل تيارًا كهربائيًّا صاعقًا لمن يمسُّه.

إلهام: إنني أشك بأن البارون يصدق روايتنا ... إن عينَيه تَشِيَان بذلك.

عثمان: لو كان ذلك صحيحًا لتخلَّص منا فورًا.

إلهام: إنه ليس بالرجل الغبي ... لعله يتساءل مَن الذي أرسلنا ... وقد يتخذنا ورقة رابحة للمساومة ... ربما يعتبرنا أسرى سيستفيد منَّا ولكنه لا يُفصح عن ذلك.

زبيدة: وكيف يمكنه أن يتأكد من الحقيقة؟

إلهام: لا تنسَوا أن له عملاء بالمئات ... وبالمال يستطيع أن يفعل أيَّ شيء ... أظن أننا في موقف لا نُحسَد عليه ... ولعل البارون تظاهر بتصديق روايتنا واستدرجنا إلى قصره في هذا المكان النائي لنكون داخل عرينه.

عثمان: إذا كان ذلك صحيحًا فإن وجودنا في هذا القصر يمثِّل خطرًا شديدًا علينا ... وعلينا أن نغادرَ هذا المكان بأسرع ما نستطيع.

أحمد: ولكن المكان أشبه بقلعة ... سيستحيل مغادرتنا الجزيرة بأكملها ... وقطَّب حاجبَيه وأضاف: إذا كان البارون قد اكتشف حقيقتَنا ويريد أن يلعب لعبة ما علينا، فلنتظاهر بأننا انخدعنا ... ولنفاجئه في اللحظة المناسبة ... ليست هناك غير وسيلة واحدة لمغادرة هذا المكان في أمان وهي ...

ولم يُكمل «أحمد» عندما دخل خادمان يحملان الطعام للشياطين فوق المائدة العريضة ... وبنظرة واحدة تفاهم «عثمان» و«أحمد»، وبضربة مفاجئة من كلٍّ منهما تمدَّد الخادمان فاقدَي الوعي. وأسرع الشيطانان يرتديان ملابسهما ... وعندما انتهيَا من ذلك قال «أحمد» لـ «إلهام» و«زبيدة»: سوف نفحص القصر ومنافذه لتنفيذ خطتي.

تساءلت «زبيدة» بقلق: وما هي خطتك يا «أحمد»؟!

أحمد: ليس هناك وقتٌ للشرح ... إن كل ثانية تمرُّ لها قيمتها.

وأسرع يغادر المكان مع «عثمان» ... ولم ينتبه الحارسان الواقفان بجوار مدخل الباب إليهما، وهبط «عثمان» و«أحمد» لأسفل ...

وكان الطابق السفلي هادئًا تنبعث منه إضاءة خفيفة ... وسمع الشيطانان أصواتًا خفيفة تأتي من إحدى الحجرات ... واقترب الاثنان من باب الحجرة ... واستطاعَا تمييز صوت البارون وهو يقول: لقد جاء هؤلاء الأغبياء في الوقت المناسب ... فقد أرسلتُ الصور التي التقطناها لهم في الطائرة وبعثناها إلى عملائنا في كل أنحاء العالم ... والإجابة قالت بأنهم من أبرع العملاء العرب ... ولا بد أنهم جاءوا هنا ... للقضاء عليَّ.

قال قائد الحرس: وما فائدة الاحتفاظ بهم أحياء ... إنني أفضِّل التخلص منهم و...

قاطعه البارون: إن قتْلَنا لهم سيجعلنا نخسر ورقة رابحة ... فوجودُهم في قبضتنا يمكننا أن نساوم بهم حكومتَنا في رفع أيديهم عن قصورنا وأملاكنا المصادرة في «ميدين»، وإلا قمنا بقتلهم، ولا شك أن جزءًا من مهمتهم هي نسفُ معامل الكوكايين ... ولذلك أتيتُ بهم إلى هنا وتظاهرتُ بتصديق روايتهم لإبعادهم عن معاملنا ... لقد اصطدتُ عصفورَين بحجر واحد.

قال قائد الحرس: إذن يجب القبض على هؤلاء المحترفين في الحال ما داموا بمثل هذه الخطورة، فمن الخطأ تركهم وسط حراسة قليلة بداخل القصر.

قال البارون ساخرًا: وماذا يمكنهم أن يفعلوا ... إن خروجهم من هذا القصر معناه الموت المؤكد في الخارج ... إنَّ آمَنَ مكانٍ لهم هنا ... ولا شك أنهم يعرفون ذلك تمامًا.

ضاقَت عينَا «أحمد» وهتف: حسنًا ... لسوف تكون خطتنا هي المفاجأة لك أيها البارون المغرور. ولم يكَد «أحمد» يُتمُّ عبارتَه حتى صاح «عثمان»: حاذر يا «أحمد».

وفي نفس اللحظة ظهر عددٌ من الحراس الذين اندفعوا نحو الشيطانَين وهم يُطلقون رصاصاتهم، وقفز «أحمد» إلى اليسار ... وبحركة بارعة طارَا في الهواء ليهبطا فوق أقرب الحراس إليهما ... وبضربة ساحقة ألقيَا بالحرس إلى الخلف ... وأسرع «أحمد» و«عثمان» يستوليان على المدافع الرشاشة، واندفعَا إلى حجرة البارون وهما يُطلقان الرصاص في كل اتجاه، ولكن البارون وقائد حرسه لم يكونَا بالحجرة.

هتف «عثمان» بغيظ: لا بد أن هناك بابًا سريًّا خرجَا منه عندما سمعَا صوت الرصاص.

أحمد: ليس لدينا وقتٌ للبحث عنهما ... سوف يهرع إلينا مئات الحراس ... يجب تحذير «إلهام» و«زبيدة» في الحال.

أسرع «أحمد» و«عثمان» يغادران الحجرة ... وصادفهما بعض الحراس في الخارج فقضيَا عليهم بالرصاص، ثم اندفعَا إلى أعلى، وهتفت «إلهام» متسائلة: ماذا حدث؟

أحمد: لقد اكتشف البارون حقيقتنا ... يجب أن نغادر القصر في الحال.

وأطلق دفعة رشاش على النافذة فحطَّمها ... وهتف «عثمان»: علينا أن نقفز لأسفل بدون أن نمسَّ الأسلاك الكهربائية ... ليس أمامنا وسيلة لمغادرة القصر غير ذلك.

أحمد: فلتقفز «إلهام» و«زبيدة» ... ثم «عثمان» ... وقبل أن يقفز «أحمد» اندفع إلى المكان عددٌ من الحراس، فأسرع «أحمد» يحصدهم برشاشه قبل أن يقفز لأسفل وينضم للباقين ... وانهال سيل من الرصاص على الشياطين فأسرعوا نحو الحديقة الاستوائية الكبيرة ... ولمحَت «إلهام» شيئًا يتحرك أمامها فصرخَت: سوف يُطلقون المدفع نحونا.

وأسرع الجميع يُلقون بأنفسهم على الأرض عندما انفجرَت دانة قريبة منهم انتزعَت عددًا من الأشجار، ونهض الشياطين وأسرعوا يجرون داخل الحديقة التي كانت تُشبه غابة صغيرة.

ومن الخلف دوَّى زئير نمر ... وحلَّقت طائرة هليكوبتر بأعلى، وراحَت تحصد المكان برشاشاتها، وصوب «عثمان» مدفعه الرشاش ... وأطلق رصاصًا نحو هدف محدد ...

وأصابت الرصاصات هدفها فانفجر خزان الوقود بالطائرة، وهوَت محترقة داخل الماء ...

وقفز نمر نحو «إلهام» فعاجلَته برصاص مدفعها الرشاش الذي استولَت عليه من أحد الحراس.

وصاح «عثمان»: علينا أن نبحث عن وسيلة لمغادرة هذه الحديقة ... إنها غير آمنة.

أشارت «زبيدة» إلى ركن بالحديقة، فقالت: خلف هذا الركن تقع بركة ماء لا يوجد بها حراسة ... يمكننا أن نقطعَها سباحة ونختفي بعيدًا داخل الغابة التي تقع خلفها كسبًا للوقت ...

– إذن هيَّا ...

واندفع الشياطين نحو البركة الراكدة الماء، وبدأ «عثمان» يخوض في أوحالها ... وفي نفس الوقت تحرك ... شيء ملقًى فوق وجه الماء أشبه بقطعة خشب طافية ... واندفع «عثمان» وصرخت «إلهام»: حاذر يا «عثمان» ... إنه تمساح.

وفتح التمساح الرهيب فكَّه ... وتنبَّه «عثمان» إلى الخطر، فضغط على زناد مدفعه الرشاش وهو يصوِّبه نحو التمساح ... ولكن المدفع لم ينطلق، فقد نفد رصاصه ... وأسرع التمساح فاتحًا فكَّه ليلتهم «عثمان» ولكن الشيطان الأسمر تصرَّف بسرعة، وألقى بمدفعه داخل فك التمساح الذي أطبق عليه بشدة ... ليسمع صوت تحطم أسنانه ...

وعاد «عثمان» بسرعة إلى الشاطئ ... وقال «أحمد» وهو يلتفت حوله بقلق شديد: يبدو أنه لا وسيلة بالفعل لمغادرة هذا المكان ... كما قال البارون ... إنه يمتلئ بالمفاجآت الصعبة ... كما قال تمامًا. وزأر نمرٌ قريب ... وتعالَى الرصاص من الخلف ... وحلَّقت طائرة هليكوبتر بأعلى راحت تستكشف مكان الشياطين.

كان الموت يحيط بهم من كل الأركان ... ويقترب منهم في كل اتجاه.

وتطلَّعت «إلهام» حولها في قلق شديد، وقالت: ما العمل الآن ...؟ «أحمد» ... لقد قلتَ إن لديك خطة آمنة لمغادرة هذا المكان ... ما هي؟

أحمد: للأسف لم يَعُد بالإمكان تنفيذها ... فقد كانت خطَّتي أن نأسر البارون فيتوقف رجاله عن مهاجمتنا خشيةَ إصابته، فنغادر بواسطته هذا المكان ... ولكن ذلك صار مستحيلًا الآن ... إننا في فخ رهيب سيصعب علينا الخروج منه أحياء ...

ولم يكد «أحمد» يُنهي عبارته ... حتى اندفع من وسط الأشجار عشرات من الحراس باتجاه الشياطين وهم يُطلقون سيلًا من الرصاص كالمطر.

رجل المفاجآت!

توقَّف الحراس عن إطلاق الرصاص وتلفَّتوا ذاهلين ... لم يكن هناك أيُّ أثر للشياطين المحاصرين منذ لحظة ... كأنما انشقت الأرض وبلعتهم ...

وصاح قائد الحراس في غضب شديد: إنهم هنا في مكان ما ... ابحثوا عنهم فلا يمكن أن يكونوا قد طاروا في الهواء ...

ولكنه كان مخطئًا ...

فمن فوق رءوس الأشجار سقط الشياطين على الحراس في مفاجأة صاعقة ... وبضربات قليلة ترنَّح الحراس، ثم سقطوا فاقدي الوعي، واستولى الشياطين على أسلحتهم، وانطلق الرصاص يئزُّ مرة أخرى ... وأسرع مزيد من الحراس لتطويق الشياطين من كل اتجاه.

وصاح «عثمان» وهو يضغط على زناد مدفعه الرشاش بقوة وهو يصوبه نحو مهاجميه: سوف يأتي المزيد والمزيد من الحراس، ونحن في منطقة مكشوفة وخطرة ...

أحمد: إن لديَّ فكرة ... سوف نشغل بها انتباه بقية الحراس، فلتبقوا أنتم في مكانكم وسأسرع بتنفيذ خطتي ...

واندفع «أحمد» وسط الأشجار القريبة فاختفى فيها ... على حين صنع بقية الشياطين ساترًا من الأشجار المحطمة حولهم واحتموا خلفه وهم يُطلقون الرصاص.

اقترب «أحمد» جهة اليسار ... وسمع أحد الحراس وهو يقول: استدعوا مزيدًا من الحرس، ولتقم الزوارق بتطويق المكان.

اقترب «أحمد» في هدوء ... ووقعَت عيناه على المدفع الكبير المختفي وسط الأشجار بالحديقة، وكان هناك عددٌ من الحراس حوله وهم يصوبون فوهته باتجاه مكان الشياطين،

وفي خفة تسلق «أحمد» أقرب الأشجار إليه ... وقفز فوق رءوسهم في رشاقة ... وصاح أحد الحراس: استعدوا لإطلاق المدفع ...

وكان هذا آخر ما نطق به في حياته؛ فقد سقط «أحمد» فوقه من أعلى، وبضربة قوية أرسله إلى الجحيم ... وبالمدفع الرشاش حصد الباقين ... وكان عليه أن يعمل بأقصى سرعة ... فقد بدأت الزوارق الحربية تحاور بقية الشياطين من خارج الحديقة ... وانطلق سيل من الرصاص عليهم ... ومن أعلى أخذت طائرة هليكوبتر تحوم في دوائر فوقهم مطلقة سيلًا آخر من الرصاص ...

وكان المدفع أمام «أحمد» متأهبًا للانطلاق.

وحدد «أحمد» وِجْهةَ المدفع وضبط اتجاهه، وأشعل الفتيل ... وأصم أذنيه، وانطلقت قذيفة المدفعية فوق الزوارق الحربية خارج الحديقة ... ثم انفجرت في وسطها وتحول المكان إلى جحيم، وتعالى الصراخ وأصوات الانفجارات ... ومرة أخرى صوَّب «أحمد» مدفعه الكبير نحو بقية الزوارق ثم أطلقه ...

وعلى الفور أسرعَت بقية الزوارق التي نجَت من الانفجارات بالهرب من المكان منطلقةً بأقصى سرعتها ليخفَّ الضغط والحصار على الشياطين.

وابتسم «أحمد»، لقد نجحَت خطته جزئيًّا ... وفجأة انقضَّت الطائرة الهليكوبتر على «أحمد» مطلقةً وابلًا من الرصاص؛ فأسرع «أحمد» يحتمي تحت بدن المدفع.

وانفجر صاروخ بالقرب منه ... وعاودت الطائرة هجومَها مرة أخرى وهي تستعد لإطلاق صاروخ جديد لنسف المدفع و«أحمد» معه.

وكان «أحمد» يعرف أنه لا نجاة للشياطين ولا فوز لهم إذا تم نسف المدفع الكبير ... وبسرعة اقترب من منطقة مكشوفة ليسهل على مهاجميه بالطائرة مشاهدته ليُغريَهم بإطلاق الرصاص عليه وعدم نسف المدفع بالصواريخ.

وحدث ما توقَّعه «أحمد» ... فقد اقتربت الطائرة الهليكوبتر وهي تحصد المكان برصاصها، ثم أطلقوا عدة أشياء في اتجاه «أحمد».

ووقع الانفجار ... ولم يكن انفجارًا واحدًا ... بل اثنين ... حدث الانفجاران في لحظة واحدة، فعندما انطلق الصاروخ من الطائرة باتجاه «أحمد» قفز الشيطان الماهر بأقصى ما يستطيع مصوِّبًا مدفعه الرشاش نحو خزان الوقود في الطائرة ... وما إن لامسَت قدماه الأرض خلف حاجز من الأشجار بعد قفزته العالية، حتى دوَّى الانفجاران ... انفجر الصاروخ بالقرب منه ولكن الأشجار الصلدة التي احتمى «أحمد» بها حمَته من الشظايا واللهب، وفي نفس الوقت انفجرت الطائرة الهليكوبتر وسقطت وسط البركة القريبة.

ونهض «أحمد» وهو يتنفس الصعداء ... وتلفَّت حوله ... لم يكن هناك غير بضع عشرات من الحراس قد اقتربوا مطلقين رصاصهم وقنابلهم اليدوية، وكان يسهل التعامل معهم ... ولم يكن أمرهم يهمُّ «أحمد» ... كان يريد القبض على الرأس الكبير «البارون».

وكان مستحيلًا على «أحمد» الوصول من مكانه إلى قصر البارون عبر مساحة مكشوفة، خاصة وقد اعتلى سطح القصر ونوافذه العشرات من الحراس لحماية البارون وهم يُطلقون رصاصهم في كل اتجاه، ولم تكن هناك غير وسيلة واحدة لتبديل الموقف.

وابتسم «أحمد» وربَّت على المدفع الكبير ... ووجَّه فوهته نحو قصر البارون ... ثم أطلقه ودوَّى انفجار رهيب ... وعلى الفور ظهرَت فجوة بداخل القصر ... لم يكن «أحمد» يرغب في قتل البارون، بل كان يريد الحصول عليه حيًّا، ولذلك أطلق المدفع نحو الطابق السفلي للقصر بعيدًا عن مكان إقامة البارون.

وحدث ما توقَّعه «أحمد» ... فقد سمع صرخات مرتعبة وطلقات رصاص طائشة ... فقد أصابت قذيفة «أحمد» حراس القصر بالرعب ... وكان عليه أن يستثمر تلك اللحظات ... ومرة أخرى صوَّب «أحمد» المدفع ... وأطلقه ... ودوَّى الانفجار الثاني محطِّمًا جدارًا كبيرًا في القصر ... وسمع «أحمد» من الخلف صوتًا يقول: أنت رائع!

والتفت بدهشة فشاهد «إلهام» ... كانت واقفةً تُراقبه بعينَين مليئتَين بالحب والإعجاب ... وأكملت في ودٍّ شديد: منذ لحظات كنا كالفئران في المصيدة، ولكن فكرتك الرائعة في الاستيلاء على المدفع غيَّرت الأمور تمامًا ...

أحمد: علينا أن نستغلَّ تلك اللحظات بسرعة ... أين «عثمان» و«زبيدة»؟

إلهام: إنهما لا يزالان يقاتلان بعض الحراس، والموقف في صالحهما ...

أحمد: إذن هيَّا بنا للقبض على البارون، فقد هرب أغلب رجاله ...

واندفع الشيطانان من المساحة المكشوفة وهما يطلقان رصاص مدفعَيهما الرشاشَين لحماية أنفسهما، ولم تكن هناك غير مقاومة ضئيلة ... وقفز «أحمد» و«إلهام» إلى داخل القصر عبر الفجوة التي أحدثتها قذيفة المدفع.

ووقف الاثنان يُنصتان في حذر وسط بقايا الأشياء المحطمة حولهما ... كانت هناك بعض الأصوات المختلطة آتية من بعيد.

همس «أحمد»: يبدو أنهم يستعدون لمغادرة المكان والهرب.

إلهام: فلنُسرع بالقبض على البارون قبل هربه.

واندفع الاثنان إلى الساحة الخارجية للقصر ... وكانت طائرة هليكوبتر واقفة تنتظر ومروحتها دائرة ... والبارون يتأهب لركوبها مع بعض حراسه ...

اندفع «أحمد» و«إلهام» نحو الطائرة ... وفوجئ حراسها بهجوم الشيطانَين ... وأسرع «أحمد» بإطلاق مدفعه الرشاش عليهم في اللحظة التي تأرجحت فيها الطائرة لأعلى وفي قلبها البارون متجهة بعيدًا، وأسرع «أحمد» يتعلق بقاعدة الطائرة، وبقفزة أكروباتية ماهرة صار في قلبها ... وفوجئ البارون بـ «أحمد» وحدق فيه بعينَين ذاهلتَين ... وعلى الفور أخرج مسدسًا من جيبه، ولكن حركة «أحمد» كانت أسرع، وبضربة منه أسقط المسدس على الأرض، ثم تناوله وصوَّبه نحو البارون وهو يقول: أخبر الطيار أن يعود لالتقاط بقية مجموعتي وإلا كان الموت نصيبك ...

وفي صوت مرتعد طلب البارون من الطيار العودة.

وحلَّقت الطائرة فوق قصر البارون المحطَّم ... ولم تكن هناك أية أصوات للمقاومة؛ فقد أسرع بقية الحراس بالهرب والنجاة بأنفسهم ...

وألقى «أحمد» بسُلَّم من الحبال لأسفل، فتعلَّقَت به «إلهام» وخلفها «زبيدة» و«عثمان» ... وشاهد «أحمد» أحدَ الحراس وهو يبرز من أسفل، ويصوِّب مدفعه الرشاش نحو الشياطين الثلاثة المعلَّقين بالسلَّم في الهواء ... وعلى الفور صوَّب «أحمد» مسدسه وأطلقه ... وترنَّح الحارس وسقط، وفوجئ «أحمد» بحركة مباغتة فاختل توازنه وهو جالس بجانب باب الطائرة المفتوح ... فسقط منه، ولكن وبأسرع من لمح البرق امتدَّت يدَا «أحمد» لتُمسك بإفريز الباب ... وحاول البارون غلق الباب على يدي «أحمد»، ولكن الشيطان القوي تعلَّق بيد واحدة في حلقة الباب، وبيده الأخرى أمسك بالباب محاولًا منع إغلاقه فوق يديه وهو يتأرجح في الهواء ... والطائرة تعلو وتندفع بسرعة، وأخذ البارون يضغط على يد «أحمد» بقدمَيه في غيظ شديد محاولًا إفلات يدي الشيطان القوي. ولم يكن أمام «أحمد» غير تصرف واحد ... وفي عنف شديد امتدت يدُه لتمسك بقدم البارون وجذبه بقوة إلى الخارج ...

وكانت حركة «أحمد» من القوة بحيث انتزعت البارون، وألقت به خارج الطائرة، فصرخ في رعب شديد وهو يجد نفسه يسقط في الهواء ...

وجاء صوت سقوط البارون بداخل بركة التماسيح ... والتي لم تمهله غير ثوانٍ قليلة قبل أن تنقض عليه بأسنانها الرهيبة.

واستقر الشياطين الأربعة بداخل الطائرة ... وتولَّت «زبيدة» القيادة، على حين قام «أحمد» بتقييد الطيار لتسليمه إلى السلطات المسئولة.

وقالت «إلهام» بقلق: لقد أنهينا الجزء الأول من مهمتنا ... وللأسف فقد مات البارون، وكان وجوده أسيرًا معنا سيسهل لنا العودة إلى «ميدين» والتخلص من معامل صناعة الكوكايين!

أحمد: مهما حدث فلن يُثنيَنا شيء عن الذهاب إلى «ميدين».

وقاطعَت «إلهام» «أحمد» هاتفة: إن هناك رسالة من رقم «صفر».

وأسرعَت تُخرج جهاز الاستقبال الصغير من جيبها ... وكانت الرسالة تقول بلغة الأرقام الشفرية: «أهنئكم على إتمام مهمتكم الشاقة ... لا داعي لذهابكم إلى «ميدين»؛ فقد قام بقية الشياطين بهذه المهمة خير قيام ... وتحولت معامل الكوكايين إلى أطلال ... وتم حرق أغلب مزروعاتها، انتهى.»

ظهر الذهول على وجه الشياطين الأربعة ... وهتفت «إلهام»: كيف حدث ذلك ... ومتى؟

أحمد: لا بد أن رقم «صفر» كان يعرف أننا سنتجه إلى هنا أولًا للقبض على البارون «البادرينو» أو التخلص منه، فأرسل بقية الشياطين لإكمال باقي المهمة في «ميدين» ...

زبيدة: ولكن لماذا لم يخبرنا بذلك؟

أحمد: ربما لكي يخدع البارون الذي ظن أننا المجموعة الوحيدة التي جاءت للقبض عليه ونسف معامل المخدرات، فاهتم بالقبض علينا وإحضارنا إلى هنا، ولم يعطِ أيَّ اهتمام لمعامل الكوكايين في «ميدين»، فسهَّل ذلك من مهمة بقية الشياطين ... لقد قام رقم «صفر» بخداع البارون، وكانت مهمتنا مزدوجة بدون أن ندري!

إلهام: إنها مفاجأة حقيقية لنا!

قال «أحمد» باسمًا: هذا صحيح ... إن رجل المفاجآت الحقيقية هو رقم «صفر» وليس أي أحد آخر في هذا العالم!

وتعالَت ضحكة الشياطين الأربعة عالية ... لأول مرة بعد أحداث مثيرة متلاحقة.

هنـــداوي